السيد هاشم بن السيد عبد الحسين الحيدري[1]

١٣٢٥-١٣٩١هـ

السيد هاشم بن السيد عبد الحسين بن السيد جواد بن السيد حيدر الحسني، الكاظمي.

ولد في الكاظمية المقدسة سنة ١٣٢٥هـ، وأمه كريمة السيد إبراهيم بن السيد حيدر. ونشأ في بيت دين وعلم وأدب وجهاد، مجالسه مدارس. استشهد والده[2] وهو في الثامنة من عمره، وله ثلاثة أخوة أصغر منه هم: عبد المجيد، ومهدي، وعيسى.

بدأت حياته الدراسية منذ نعومة أظفاره، وتدرّج في التحصيل على أيدي فضلاء الأسرة، كالسيد أحمد بن السيد مهدي، وخاله السيد مصطفى الحيدري (صاحب كتاب بشارة الإسلام). وأخذ كذلك عن أعلام عصره المتواجدين في الكاظمية، في مختلف ميادين المعرفة، كالشيخ مهدي المرارياتي، والشيخ مهدي جرموقة، والشيخ حسين الرشتي. وكان يرعاه السيد محسن بن السيد علي الحيدري (وهو المسؤول عن إدارة مدرسة ومرجعية الشيخ مهدي الخالصي الكبير)، فحضر بحوث الاساتذة المتواجدين في تلك الحوزة. حتى انتهى المطاف بتسفير الشيخ الخالصي إلى إيران سنة ١٣٤١هـ، ثم التحاق السيد محسن به، وموتهما هناك.

كان في شبابه كبقية الكثيرين من أقرانه يقول الشعر، وهو كشعر الآخرين تقليدي، له خصائص ما يسمّى بشعر الفقهاء، ولا يتعدى مدائح ومراثي النبي والأئمة، وأعراس الأحبة، ووفيات أعلام الأمة. ولم يكن يعتني بشعره، فذهب مع الأنفاس الذاهبة، والتي إذا ذهبت فلن تعود.

وكانت له كتابات كثيرة وخاصة في الفقه، ومقالات مؤثرة في الدعوة والتبليغ، وفي الموعظة، وتربية الإنسان المسلم. ولم يكن حظها أحسن من شعره.

كان له أسلوبه الخاص في التعامل مع الناس، وفي تشويقهم إلى الله وطاعته، والتوجه إليه حتى ولو كانوا في الشوط الأخير من أعمارهم. وقد استطاع بلطف تعامله، وحسن رعايته، وسلاسة طريقته، من دفع الآلاف من العصاة إلى الطاعة، حتى حسنت عاقبة الكثيرين منهم، حين تذوقوا حلاوة التوجه إلى الله، ووجدوا الطريق ميسّراً مفتوحاً أمامهم للدخول إلى حضيرة المولى سبحانه وتعالى.

---

(١) أعتمدت هذه الترجمة، على ما كتبه السيد طالب الحيدري عن والده في أوراق.

(٢) دفاعاً عن الدين والوطن، وهو يحارب لصد الجيش البريطاني القادم لاحتلال العراق سنة ١٩١٤م، بالقرب من مدينة القرنة بالبصرة.

لقد كان ضعيفاً في الجسم صغيراً في الحجم، لكنه كان قوياً في ذات الله، لا تأخذه في الحق لومة لائم. جسوراً لحدٍ لا يصدق، كبيراً في الهمة، إذا أراد فعل شيءٍ فعله.

كان في صباح أية مناسبة دينية؛ كيوم الغدير، أو مولد النبي، أو الصديقة الزهراء، أو إمام من الأئمة، أو في أيام شهاداتهم يقول: "في هذا المساء نقيم احتفالاً". ويتصل بالنجف وكربلاء، وبمن هم في بغداد أو الكاظمية، ويستنفر من يقيمون الزينة في الأفراح، ومظاهر الحزن في الأتراح. وينعقد الحفل في الليل بشكل غير متوقع، والعناية الالهية تفعل المستحيل. فإذا بك ترى على المنبر الشيخ محمد رضا المظفر، والشيخ أحمد الوائلي، من النجف، والسيد مرتضى القزويني، والشيخ عبد الزهرة الكعبي، من كربلاء، وأستاذ الرياضيات أحمد أمين، وعدداً من شعراء الكاظمية وغيرها.

صدق النية، وطيب السريرة، وقدسية المسيرة، جعلت الكثيرين من العارفين يفضلون الصلاة خلفه، سواء في الرواق الكاظمي المطهر فجراً، أو في مسجده (باب الدروازة) ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً.

لقد جعل من المسجد الصغير – الحساس الموقع– منطلَقاً لأضخم مسيرة عرفتها الكاظمية ليلة العاشر من محرم، وكل عمل كبير يبدأ صغيراً. فهناك جماعة "أهل البيت" التي كانت تلتف حوله، وتشكل "موكباً" يضم الخواص والعوام. كانت تسير من المسجد إلى الصحن الشريف، مرددة الأبيات الشجية في الحسين (عليه السلام). ثم توسعت حتى ضمت الآلاف من الطلبة من الابتدائية إلى الجامعات، ومن الطلاب إلى الاساتذة، حتى ضاقت بها السلطات ذرعاً وحاربتها، ولكنها بقيت إلى آخر أيام حياته، واستمرت بعده إلى مدة ليست كثيرة.

كان أول الداخلين على الإمامين (ع) كل فجر، وبالرغم من وجود أكثر من سيارة في داره، إلا انه كان يذهب ماشياً على قدميه في عواصف وأمطار وبرد الشتاء، وفي ضراوة حرارة الجو أيام الصيف.

كان يعيش كأبسط الناس وأفقرهم، وإذا دخل مجلساً من المجالس، اختار أدنى مكان فيه، فيكون المكان الذي يختاره صدر ذلك المجلس. وكان متواضعاً في مأكله وملبسه، يؤثر على نفسه وعلى أهله وأولاده، ذوي الحاجات وأهل الفاقة والمسكنة، ولا يصرف إلا مما يكسبه هو من عمله في التجارة.

وكان هو الذي يصرف على المسجد، ولا يسمح لأحد أو جهة – كالأوقاف– أن تساهم في شيء. وقد أوصى بنيه أن يسيروا على المنوال نفسه. فالمسجد ليس دكاناً، كما هو فعلاً في مفهوم مَن يتعاطون بالمتاجرة في الدين أو العلم أو التقوى.

لم يعمّر طويلاً، حيث وافاه الأجل يوم ١٩٧١/٦/١٧م، الموافق ٢٣ ربيع الثاني ١٣٩١هـ. وجرى له تشييع منقطع النظير في الكاظمية وكربلاء والنجف الأشرف. وقد وصل الجثمان إلى النجف مساءً، وكان في الحضور السيد محمد باقر الصدر، وممثلون عن جميع المراجع، وقائممقام النجف (قبل أن تصبح محافظة) السيد عبد الرزاق الحبوبي. وصلى عليه السيد يوسف السيد محسن الحكيم، ودفن قبيل منتصف الليل، في مقبرة أعدت له في وادي السلام. وطويت صفحة أيامه، لتنشر صحائف محامده مقرونة بأسمى الذكريات عنه، من قبل محبيه، وعارفي فضله.

وانما المرء حديثٌ بعده فكنْ حديثاً حسناً لمنْ روى

وأقيمت له مجالس فاتحة عديدة في الكاظمية وبغداد وغيرهما من المدن، وجلس العديد من المراجع في النجف الأشرف للتعزية والمواساة. وقرئت في مجلس الفاتحة في الحسينية الحيدرية، عدة قصائد في رثائه، ومنها قصيدة نجله السيد طالب ومطلعها:

ألا لا رأت عينايَ هذا السنى يخبو وهذا الربيعَ الخصبَ يجتاحُه الجدبُ

وفيها يقول:

ألا لا تُنكِّسْ في العراقِ حكومةٌ له رايةً قد نكَّسَ الرايةَ الشعبُ

ومن بين الذين أرخوا لوفاته، الخطيب السيد علي الهاشمي بقوله:

يا ناعياً إلى الأنامِ حَبرَها ومُوقداً بالبغيِ نارَ وجدِها
من آلِ حيدرٍ نعيتَ هاشماً ذاكَ وأيم الحقِ بدرُ سعدِها
إصغِ إلى رضوانَ في جنانِه أرَّخَ: "باتَ هاشمٌ بخلدِها"

والخطيب السيد عبد الرسول الكفائي:

لقد نعى الناعي حليفَ التُقى وراحَ يبكي للمعالي أبا
أتحجبُ البدرَ صروفُ القضا ما خلتُ بدرَ الفضلِ أن يُحجبا
والعلمُ يبكي نادباً ما جرى من حادثٍ فيه الردى قد كبا
أجابه ناعيه في عَبْرةٍ مؤرخاً: "بلْ هاشمٌ غُيّبا"

وللشيخ الحاج رشيد الصفار:

يا عالماً في الورى طابتْ سريرته مضى فدينُ الهدى بالحزنِ ينعاهُ
ثوى كريماً جليلاً طاهراً ورعاً أرّختُ: "حسبُ جنانِ الخلدِ مثواهُ"

وللشاعر فاضل الصفار مؤرخاً (باللغة الدارجة):

يا ناعيَ الأحزانِ هيّجــت بــدليلي وَجِــدْ
حينَ الذي انعيــتَ ســيدْ طــاب أُمٍ وجَّــدْ
للغري من سار خلفه صرتْ أسارعْ وجــدْ
والحزنْ لعظام صــدري والظهــرْ هاشــمْ
بتراب لحده صحِت يلّي تحب ها شمْ[1]
ابدمع الحزن ودَّعتَ حامي الشرع "هاشم"
أرَّخــت: "هيــهاتْ ومثــلَه وين أشــاهــد وجِــدْ ؟"

لقد أجمع مؤبنوه والمعزون به انه كان في براءة الأطفال وطهر الملائكة. وانه كان حكيماً في كل تصرفاته. وكان عالماً ربّانياً في زمن يكاد يخلــو مــن الربــانيين، وأجمعوا انه كان يتحلى بصفات ومواهب تؤهله لأن يكون المثــل الــصادق للداعيــة الصادق في دعوته. ولم يكن عالة على الآخرين، بل كان هو يعيل أُسراً، ويرعى بيوتاً، وقد ظهر كل ذلك بعد وفاته. وقد حمّل ولده الأكبر – السيد طالب– رســالة التوجيــه الديني.

من اليمين: السيد هاشم الحيدري ثم السيد عباس الحيدري فالسيد إسماعيل الصدر

(١) ها شم: بمعنى هاكَ شمّ تراب لحده.